

قصيدة ملحمة العرب

[حكاية الصعود والهبوط] ..

- 1 -

كان العربُ

متناثرين على الصحارى

يعبرون الليل فى ضوء القمرُ

ومع احتراق الرمل فى وضَحَ النهارُ

كانوا يغذون الخطى ،

يتلمسون مواطن الآبار ،

والكلأ الذى ينمو على وقع المطرُ

وعليه كانوا يقتلون ويقتلون ..

ما كان يردعهم حذرُ!

ويقصّ شاعرهم مآثر عن صناديد الحروب ،

وكيف كان السيف يجترّ الرقاب ،

ولما يطيش السهم حين ينزّ

فى صدر العدا ، أو يستقرُ!

- 2 -

كان العربُ

أقوى من الشوك الذى ينمو بأطراف الجبالُ

لكنهم جوعى إلى جملٍ ،

يقدمه زعيم الحى ،

أوضبّ يشمشم فى التلال!

ولطالما نثروا المديح على عجوزٍ ،

قدمتُ للعابرين الظامئين

كوباً من الماء الزلال!!

- 3 -

كان العربُ

يتفاءلون بمولد الفتيان ،

فرسان المعارك والرهانُ

أما الفتاة فكانت العار المجسّد ،

والهوانُ

لا تستحق سوى المحُفر!

ينثل والدها فيدفنها بكفٍّيه ،

ويمسح ظله المهزوم .. من فوق الرمال!

- 4 -

كان العربُ

يتجمعون ليعبدوا حجراً وأشجاراً ،

ويقتسمون أصناف الغنائم ، والقمارُ

وعلى فناء الكعبة الغراء كم شربوا الخمر ،

وعربدوا فى كل زاوية ، ودار ..

ماذا وراء الموت ؟ لا أحدٌ يجيبُ

فالشمس تطلع كل يومٌ

والليل يسقط كل يومٌ

والذاهبون إلى القبور..

نهايةٌ خرساء ليس لها قرارٌ!!

- 5 -

كان العربُ

مترنحين على الرمال ، وفجأةً

سمعوا نداءً صافياً ،

من فوق رابية الصفا:

" الله أكبر .. لا إله سواه

والموت تعقبه حياةٌ

صدمتهم الكلمات ، لم يتبيّنوا

أن السماء تخيّرَت

منهم رسولاً مصطفى..

قد كان يرعى الشاهُ

واليوم يرعى أمة غَفْلَى ،

لترفع راية الإيمان في كل اتجاه !!

- 6 -

صار العربُ

متحكمين على الممالك ، فاتحينُ

وبقدر ما كانوا رعاةً صالحين

فالملُك يتبعهم ، وتنفتح المرافئ والحصون

لكنهم عادوا جبابرةً

يقاتل بعضُهم بعضاً ، ولا يتورعونُ

أن يسكتوا صوت المآذن ،

يضربوا بالمنجنيقُ

جدران كعبتهم بلا ورع ، ويرتكبونُ

أقسى المجازر في رقاب المسلمين !!

- 7 -

صار العرب

متفرقينُ

متخاذلينُ

وانهد حائط ملكهم ،

فتساقطوا متهالكين ..

يبكون سابق مجدهم ،

ويعاتبون الدهر ، حين مشى ليرفع آخرين

كانت سواعدهم أشدّ ،

وفى إرادتهم يقين !!

- 8 -

عرف العربُ

أن الكفاح هو الكفاح ،

وأن وجه البدر .. أوله محاق!

وإذا أردت صعود رابية ،

فأحكم حول ركبتيك النطاق!

واعمل بكفك ،

ليس فى أحلام يقظتك .. انعتاق!

- 9 -

عرف العربُ

أن الطريق إلى الحياة هو الحياة ،

وأن موت العقل فى موت الشعور

ولكل جائزة .. سباق!

- 10 -

الآن يعترف العرب

أن الوصول إلى المعالى لم يعد سهلاً ،

وأن المذكریاتُ

ليست سوى جثث موات!

لكنهم مترددون

يخشون من فتح النواضد فى النهارُ

ويفضلون الليل أن تبقى ستائرُه

المليئة بالغبار!

واذا دعا داعٍ بهم : أن أقدموا..

رجعوا ،

وداروا فى دوائرٍ لا تقرّ من الدُّوار!

ماذا بهم ؟

كل الشعوب تقدمت ،

وهمو على خط المسباق محاذرونُ

يتحسبون ويُحجمون°..

خوفاً من المفوز الذى

قد يستحيل إلى انهيار!!